# بحث بعنوان

# ركائز العصرانيّين
# في ردّ الأحاديث النبوية
# - دراسة نقدية -

إعداد
د. هيفاء مصطفى يوسف الزيادة
d.Haifa Mustafa ALzyadah
أستاذ الحديث المساعد
قسم أصول الدين، جامعة اليرموك، الأردن

٢٠١٧م- ١٤٣٨هـ

**الملخص**

**تهدف هذه الدراسة إلى بيان مفهوم العصرانيّة ومرادفات هذا المصطلح، والكشف عن أهم ركائز العصرانيّين التي اعتمدوا عليها في ردهم للأحاديث النبوية، مع النقد العلمي لهذه المرتكزات القائم على الحجة والدليل العلمي، ومن ثمّ استنباط أبرز خصائصهم التي يشتركون فيها ويشاركون من سبقهم بها، وقد توصلت الدراسة لمجموعة من النتائج منها: أنّ هذه الحركة ليست وليدة أو حادثة بل هي استمرار لجهود الطاعنين والمشككين على مر العصور، وقد تصدّى العلماء والباحثون لأمثالهم وكشفوا خبيئة ما في نفوسهم التي يسعون لها جميعًا؛ وهي هدم السنة النبوية الشريفة المصدر التشريعي المُتمّم والمُكمّل للقرآن الكريم.**

**الكلمات الدالة: العصرانيّة، ركائز، نقد، السّنة النّبويّة.**

**Abstract**

**The purpose of this study is to explain the concept of modernity and synonyms of this term, and to uncover the most important pillars of the modernists who relied on them in their response to the Prophet's Hadiths, with the scientific criticism of these methods based on argument and scientific evidence, and then devise the most prominent characteristics which they share and share with their predecessors. The study of a number of results, including: that this movement is not a result or an incident, but is a continuation of the efforts of skeptics and skeptics throughout the ages, and scientists and researchers have confronted like them and revealed a hidden in them which they all seek; Supplementing the Holy Quran.**

**Key words: Modernism, Pillars, Criticism, Sunnah.**

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد:

تتعرض السنة النبوية لحملات عدائية وسلسلة من الشبهات – التي باتت في أكثرها مكرورة ولا جديد فيها-، كلّ ذلك بهدف إسقاط حجيتها ونزع لباس الوحي عنها، وتقديمها على أساس أنّها مزيج من الآراء البشرية القابلة للنقد والرفض، تحت غطاء التجديد في الدين ومواكبة روح العصر، فسمُّوا أنفسهم لذلك بالعصرانيّين، وبعد الاطلاع على هذه الشبهات، يجد الباحثون أنّها متشابهة ومتقاطعة فيما بينها، وما ذلك إلّا لاتحاد مشاربهم وأهوائهم، فكل هذه الشبهات ماهي إلا تكرار وترداد لأقوال المستشرقين والعلمانيين.

وهذا البحث الموسوم ب ركائز العصرانيّين في ردّ الأحاديث النبوية- دراسة نقدية-، يتناول فيه الباحث بعضاً من هذه الركائز التي استند عليها العصرانيّون في رفضهم للأحاديث النبوية، ونقد هذه المناهج في ضوء المنهج العلمي المتبع عند المحدثين.

- مشكلة الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما المقصود بالعصرانيّون، وما مرادفات هذا المصطلح؟

٢- ما أهم الركائز التي استندوا إليها وانطلقوا منها في ردهم للأحاديث النبوية؟

٣- ما مدى وجاهة هذه المرتكزات من خلال نقدها وبيان المنهجية العلمية فيها؟

- أهمية الدراسة:

نظرًا لتفشي الأفكار المغلوطة حول السنة النبوية التي يروّج لها أصحاب التيار العصرانيّ عبر وسائل التواصل الإجتماعية المختلفة، والتي أدت إلى انبهار الشباب المسلم ممّن ليس لديه الدربة أو المُكنة العلمية التي تؤهله للتصدي لمثل هذه الأفكار والشبهات، جاءت هذه الدراسة لبيان ركائز هؤلاء، وأهدافهم المُغرضة بالرد العلمي القائم على الحجة والدليل، كسهمة علمية تتعاضد مع غيرها من البحوث العلمية المختصة بهذا المجال.

- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١- بيان المقصود بالعصرانيّين، وأبرز مرادفات هذا المصطلح.

٢- استخلاص أبرز ركائز العصرانيّين، مع النقد العلمي لها.

٣- توضيح أبرز ملامح العصرانيّين وخصائصهم.

- الدراسات السابقة:

إنّ المتتبع لمسألة الحداثة والعصرانيّة ليجد جهوداً كثيرة في بيان هذه الحركة وأبرز ما تدعو إليه، ومناهجهم التي يقلدون بعضهم البعض فيها، حتى غدت حركة اجترارية لما سبقها.

ومن أبرز الكتب التي تناولت هذا الموضوع بالبحث: كتاب: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للدكتور مصطفى السباعي، وكتاب العصرانيّون، بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، لمحمد حامد الناصر، ومن الأبحاث والدراسات: أثر العقل في نقد الحديث عند المعاصرين، للدكتور مختار نصير، والتجديد بين الإسلام والعصرانيّين الجدد، وهي رسالة ماجستير للباحث أنس أبو الهنود، والعصرانيّون ومفهوم تجديد الدين عرض ونقد، للدكتور عبد العزيز إبراهيم، والفهم الحداثي للنص الديني للدكتور محمد رستم، والقراءة الحداثية للسنة النبوية للدكتور محمد الخطيب

وقد امتازت هذه الدراسة عمّن سبقها بإفرادها لموضوع الأحاديث النبوية، واستخلاصها لأبرز المرتكزات التي استند عليها العصرانيّون لردهم لها، مع بيان الخصائص التي يشتركون فيها.

- منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المناهج العلمية كالمنهج الإستقرائي، القائم على تتبع آرائهم ومواقفهم من العديد من المراجع والكتب مظنة هذا الموضوع، ثم استنباط المناهج من مجموعها وتحليلها علمياً بالمنهج النقدي القائم على الدليل والحجة العلمية.

- خطة البحث:

قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

- المقدمة: وفيها مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، وأبرز الدراسات السابقة، والمنهجية المتبعة فيه، وخطته.
- المطلب الأول: مفهوم المعاصرة، ومرادفات هذا المصطلح.
- المطلب الثاني: ركائز العصرانيّين في رد الأحاديث النبوية في ميزان النقد.
- المطلب الثالث: ملامح المعاصرة وخصائصها المستقاة من تلك الركائز.
- الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.
- قائمة المصادر والمراجع.

## المطلب الأول

### مفهوم المعاصرة، ومرادفات هذا المصطلح

قبل البدء بالتعريف اللغوي لهذا المصطلح، يحسن التنبيه إلى أنّني بحثت في الفرق بين العصريّة والعصرنة، ووجدت أنّ أغلب الكتّاب في هذا الميدان لا يُميِّزون عند الإطلاق بين العصرانيّ والعصريّ، بدليل إطلاق بعضهم مسمّى: العصرانيّ، كمحمد حامد الناصر في كتابه: ( العصرانيّون، بين مزاعم التجديد وميادين التغريب)، بينما اختار بعضهم وصف العصريّة للتعبير عن العصرنة كيوسف كمال في كتابه (العصريّون معتزلة اليوم)، وعلى كلّ فالمصدر لهما واحد وهو: عصر.

وفي المعجم نجد العصرانيّة كترجمة لكلمة **Modernism**، وعصريّة كترجمة لكلمة **Modyernity** أو كون الشيء عصريّاً[1].

**أولاً- مفهوم المعاصرة في اللغة:**

" (عَصَرَ) الْعَيْنُ وَالصَّادُ وَالرَّاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ صَحِيحَةٌ:

- فَالأولُ: دَهْرٌ وَحِينٌ.
- والثَّاني: ضَغْطُ شَيْءٍ حَتَّى يَتَحَلَّبَ.
- والثَّالث: تَعَلُّقٌ بِشَيْءٍ وَامْتِسَاكٌ بِهِ.

والْجَمْعُ (عُصُورٌ)، و(الْعَصْرَانِ) اللَّيْلُ والنَّهَارُ؛ وهُمَا الْغَدَاةُ وَالْعَشِيُّ ومِنْهُ سُمِّيَتْ صَلَاةُ (الْعَصْرِ).

والعصر: كُلّ مُدَّةٍ مُمْتَدّةٍ غَيْرِ مَحْدُودَة، تَحْتَوي على أُمَمٍ تَنْقرض بانْقِراضِهِم، والمعاصرة مصدر، عاصرتُ فلاناً معاصرة وعصاراً: أي كنت أنا وهو في عصر واحد، أو أدركتُ عصره"[2].

أمّا العصرانيّة في اللغة فهي: مصطلح دخيل على اللغة العربية ليس له تعريف في معاجم اللغة العربية الأصيلة، يراد به مجارة روح العصر، والتعاطف مع الأفكار والمواقف والمقاييس الحديثة[3].

**ثانيَاً- المعاصرة اصطلاحاً:**

العصريّة: " مذهب جديد بدأ في مطلع هذا القرن، قرن بين الهزيمة والضياع، وهو في جوهره إحياء لآراء الخوارج والمعتزلة، تولى أمره رجال أريد لهم الصدارة في المكان، والرواج في الفكر، يندر أن تعرف

---

[1]- Stephen ١٩٩٢; Cosmopolis: The Hidden Agenda of Modernity.

[1]- ينظر: أبو منصور، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، (١٠/٢)، والرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، (٣٤٠/٤)، والرازي، أبو عبد الله محمد، مختار الصحاح، ص:٢١٠، وابن منظور، محمد، لسان العرب، (٥٧٥/٤)، والزبيدي، محمد بن محمد ، تاج العروس، (١٣/ ٦٠)، مادة: عصر.

[3]- ينظر منير البعلبكي، موسوعة المورد (٤٤/٧).

أحدهم دون أن تحس منه بشعور من يظن أنه مجدد وأنه لم يسبق إلى فكره" [٢].

وتُعرف أيضًا بأنّها: " حركة ظهرت في القرن التاسع عشر، على إثر انتشار مذهب دارون في النشوء والتطور، ومحاولة تطبيقه على التطور البشري، مما يتعارض مع ما جاء في سفر التكوين. وأساس هذه الحركة إنكار الوحي ، باعتباره خارجا على القوانين الطبيعية، واعتبار الكنيسة مجرد جمعية إنسانية ليس لها طابع إلهي خاص" [١].

والعصرانيّة في الدين هي: " أي وجهة نظر في الدين مبنية على الإعتقاد بأن التقدم العلمي، والثقافة المعاصرة، يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية، على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة"[٢].

أمّا العلاقة بين المعنيين اللغوي و الاصطلاحي فهي تعود إلى رفع شعار: مجاراة روح العصر عند المنتسبين لهذه الحركة، للانعتاق من التقليد إلى التقدم والتجديد.

ثالثًا- مرادفات العصرنة:

رفع أصحاب هذا الفكر عدة شعارات: كالعقلانيّة: وهو مذهب فكري يزعم إمكان الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الإستدلال العقلي المجرد دون اللجوء إلى الوحي الإلهي، أو التجربة البشرية، وكذلك إخضاع كل شيء بالوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه، فالإدراك العقلي عندهم سابق على الإدراك الحسي المجسد، وبناءً على هذا لا يؤمنون بالمعجزات والخوارق، وينبغي أن تختبر عندهم العقائد اختباراً عقلياً [٣].

والحداثيّة أو الحداثة: وهي فرع من فروع المدرسة العقلية، ومذهب ولد في رحم العقلانية، وأكثر ما يميزه أنه أدبي فكري علماني، تأثر بمزيج من الأفكار الغربية كالماركسية، والوجودية، والداروينية، مع شيء من المذاهب الأدبية والفلسفية، تهدف إلى تحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة أنها قديمة بالية، وتأويل نصوص الوحي بما يتناسب مع المذهب الحداثي، كل ذلك لنبني الحياة على الإباحة والفوضى والغموض باسم الحرية، وهي نتاج طبيعي لعزل الدين عن الدولة في أوروبا[٤].

---

[٢]- يوسف كمال، العصريون معتزلة اليوم، ص:٨.

[١]- الموسوعة العربية الميسرة (١٢١٦/٢) دار نهضة لبنان للطبع والنشر -

[٢]- بسطامي، محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين،(ص:٩٦-٩٧)، وقدأحال بسطامي هذا التعريف إلى القواميس والموسوعات منها: المورد لمنير بعلبكي (قاموس انجليزي-عربي).

[٣]- الشهري، محمد ظافر، العقلانيون المعاصرون وأحاديث الصحيحين، بحث مقدم لمؤتمر الإنتصار للصحيحين المنعقد في الفترة من ١٤ –١٥/٧/٢٠١٠م بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، (ص:٥)، بتصرف

[٤]- المرجع السابق (ص:٦)، بتصرف.

والتنويريّة؛ فهم يطلقون على أنفسهم (أصحاب الفكر المستنير)!، والتجديديّة، والتطويرية، وغيرها من الشعارات والأسماء البراقة والبريئة في الظاهر، إلا أنّها في الواقع العملي تخفي خلفها دعوات خبيثة إلى العَلْمانية وفصل الدين عن الدولة، امتداداً لعمل المستشرقين والمنصِّرين الذين باركوا أمثال هؤلاء وقدموا لهم الدعم المادي والمعنوي.

فها هو المستشرق "جيب" يثني على أمثال هؤلاء بقوله: " التجديد هو بالدرجة الأولى وجه من أوجه التحرر الغربي، ويمكننا إذن أن ننتظر من هذا الإتجاه لدى المجددين أن يكون بمثابة تكريس عصري للقيم التحررية والإنسانية.. وقد ساهم نشاط الإرساليات بتعزيز هذا الموقف إلى حد تحديد نقاط العقيدة أو التطبيق الذي يجب أن تتبع بصورة خاصة"[١].

وتجتمع هذه الحركات باختلاف مسمياتها على أهداف واحدة، وهو إيجاد المواءمة بين الدين وبين الظروف الجديدة المتغيرة ليكون صالحا لهذا العصر،وهذه المواءمة تكون بواحدة من الطروحات التالية :

١ ـ إعادة تفسير وتأويل بعض تعاليم الدين ، ورفض التفسيرات القديمة لها.

٢ ـ إطراح بعض التعاليم التي لم تعد مناسبة وتغييرها بتعاليم مناسبة.

٣ ـ إعادة تكييف الدين على ضوء ظروف ومعارف العصر السائدة [٢].

## المطلب الثاني

## ركائز العصرانيّين في رد الأحاديث النبوية في ميزان النقد

تعددت مناهج المعاصرين التي استندوا عليها في ردهم للأحاديث النبوية، انطلاقاً من حملاتهم المزعومة والخطيرة التي تدعو إلى تطوير الدين، ولا يقصدون بهذا التطوير فروع الدين وإنما يتطاولون إلى أصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية.

وقد كشف الشيخ محمد أبو زهرة الغاية من هذه الدعوة بقوله: " إنّ كلمة التطوير تضايقني نفسياً، لأنّ الذين يرددونها يريدون أن يحوِّلوا الشريعة عن مقاصدها إلى ما يوافق أهواء واردة إلى مجتمعاتنا في عواصف ناسفة للحقائق الإسلامية، فيلغون الزكاة باسم تطور الإشتراكية، ويلغون الميراث باسم ذلك التطور أيضاً، والذين يرددون كلمة التطور هنا، يؤمنون بالقوانين الأوروبية أكثر من إيمانهم بالشريعة الإسلامية .. إنهم يريدون التبديل، ولا يريدون إيجاد أحكام لما جدّ من أحداث.. يريدون أن

---

[١]- جيب، الإتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة هاشم الحسيني، ص:١٠٠.

[٢]- حمزة أبو الفتح حسين قاسم محمد، العصرانيّون، مقال على الرابط: http://islamsyria.com/portal/article/show/٤٥٦#sthash.iwNYMxma.dpuf

تكون الشريعة محكومة لما يجري بين الناس لا أن تكون حاكمة على ما يجري.."[1]. ومن مرتكزات هؤلاء:

١- تقديس العقل وتقديمه على النقل[2]:

وهذا المنهج يتفاخرون به حتى أطلقوا على أنفسهم اسم: العقلانيين الذين يقولون ب" أولية العقل وتقديمه على غيره"[3]، وقد ساروا فيه على أثر من سبقهم من أهل الكلام والفلسفة، خاصة المعتزلة الذين أشادوا بهم وبفكرهم.

يقول محمد عمارة: " لقد أصبح الواقع الفكري للحياة العربية يتطلب فرساناً غير النصوصيين، ويستدعي أسلحة غير النقول والمأثورات للدفاع عن الدين الإسلامي.. ويُسلِّم الكثيرون بأن المعتزلة هم فرسان العقلانية في حضارتنا"[4]، ثم يذكر أنّ العبرة في تمييز الصحيح من المنحول إنما هو بحكم العقل، ولا عبرة بالرواة ورجال السند الذين أحاطهم المحدثون بالقداسة!.

ويتجرأ فهمي هويدي[5] ويعتبر أنّ الرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة هو عبادة لهذه النصوص، وهذه وثنية جديدة!

وقد تمادى بعضهم فقال: " أنا لو خيرتُ بين ديني وعقلي لآثرتُ عقلي لأنني قد أصبح به متديناً، لكني لو فقدته فسأفقد ديني معه"[6]. ويتناقض آخر عندما يقول: " يمكن للمسلم المعاصر أن ينكر كل الجانب الغيبي في الدين ويكون مسلماً حقاً في سلوكه"[7]!.

وقد حمّل الحداثيون الحس والعقل مسؤولية الحكم على قبول الأحاديث النبوية، يقول حسن حنفي: "والحقيقة أنَّ الدليل النقلي الخالص لا يمكن تصوره لأنه لا يعتمد إلاَّ على صدق الخبر سنداً أو متناً، وكلاهما لا يثبتان إلاَّ بالحس والعقل طبقاً لشروط التواتر"[8].

لذلك رفض أصحاب هذا الفكر وردّوا كثيراً من الأحاديث الصحيحة التي أخرجها الشيخان بدعوى مخالفتها للعقل والحس، كحديث سحر النبي- صلى الله عليه وسلم-، ومخالفته لمبدأ العصمة، وحديث توقف الشمس لأحد

---

[1]- أسبوع الفقه الإسلامي الثالث، مجلة البحوث الإسلامية، (ص:١٥٢).

[2]- للاستزادة حول هذا المنهج ينظر: لؤي عبد الرحمن أبو نبهان، "الاتجاه العقلي في نقد الحديث دراسة مقارنة تطبيقية"، وهي رسالة دكتوراة في جامعة اليرموك غير منشورة،٢٠٠٨م.

[3]- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، (٩٠/٢).

[4]- عمارة، محمد، تيارات الفكر الإسلامي، (ص ٧٠-٧٢).

[5]- هويدي، فهمي، وثنيون هم عبدة النصوص (ص٣٤).

[6]- عثمان، محمد فتحي، الفكر الإسلامي والتطور، ( ص: ٣٧-٣٨).

[7]- حنفي، حسن، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، (ص: ٩٣).

[8]- حنفي، حسن، التُّراث والتجديد، من العقيدة إلى الثورة، ( ص:٣٧٣).

الأنبياء وأنّ الحس يأباه، وحديث الجساسة والدجال.. والأمثلة على ذلك كثيرة يطول ذكرها[١].

- **العلاقة بين الشرع والعقل في الإسلام[٢]:**

اهتم الإسلام بالعقل اهتماماً بالغاً فجعله مناط التكليف، فإذا فُقِدَ ارتفع التكليف، ويعد فاقده كالبهيمة، لا تكليف عليه، بل جعله الإسلام إحدى الضرورات الخمس التي أمر الشارع بحفظها ورعايتها لأنّ مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة عليها[٣].

ولا يمكن أن يتعارض العقل السليم مع النص الصحيح، يؤكد ذلك ابن تيمية رحمه الله بقوله: "ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارض الشرع البتة، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط"[٤].

والعقل مهما بلغ ارتفاعه فهو محدود الإمكانات والمجالات والعقول متفاوتة وغير منضبطة، يقول الإمام الشافعي: " إنّ للعقل حداً ينتهي إليه، كما أنّ للبصر حداً ينتهي إليه"[٥].

ويقول ابن القيم: " لا ريب أنّ البصر يعرض له الغلط ورؤية بعض الأشياء بخلاف ما هي عليه، ويتخيل ما لا وجود له في الخارج فإذا حكم عليه العقل تبين غلطه"[٦].

وإن كان هؤلاء لا يأبهون لهذه المكانة التي تبوأها العقل في الإسلام، ولا لإشارات العلماء إلى أنه ومع هذه المكانة المرموقة محدود بحدود ومضبوط بضوابط، فإليهم بعض أقوال فلاسفة الغرب الذين يتبعونهم حذو القذة بالقذة، ويستصغرون أنفسهم أمام علومهم وحضارتهم التي انبهروا بها.

من ذلك قول الفيلسوف كانت: " يجب على العقل أن يقف في تصوره عند حد التجربة الحسية إذ لا يمكن لأفكارنا أن تمتد إلى كنه الأشياء ولبابها إلى الأشياء في أنفسها. فإذا ما حاولنا أن نعرفها بنفس الوسائل التي تعرف بها الظواهر -أي الزمان والمكان والسببية وغيرها- تورطنا في التناقض والخطأ"[٧].

---

[١]- ينظر أمثلة ذلك: سامر إسلامبولي: تحرير العقل من النقل، عادل ظاهر: أولية العقل، علاء السعيدي: صحيح البخاري من منظور آخر، جمال البنا: نحو فقه جديد.

[٢]- للاستزادة حول هذه العلاقة ينظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق:د. محمد رشاد سالم،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢،١٩٩١ م.

[٣]- ينظر: الشاطبي، إبراهيم، الموافقات في أصول الأحكام، (١٣/٣).

[٤]- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، (١٤٧/١).

[٥]- البيهقي، أحمد بن الحسين، مناقب الشافعي، (١٨٧/٢).

[٦]- ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، (٢٠٠/٣).

[٧]- أحمد أمين، قصة الفلسفة الحديثة، (٢٩١/١).

وقول الفيلسوف الإنجليزي جون لوك : " إن كل فكرة توجد في العقل إنما يكون أساسها راجعاً إلى الحواس، ومن تعطلت حواسه جميعاً أو إحداهما فلا يمكن أن تتكون في ذهنه أية فكرة عن محسوسها، وبذلك فلن يكون هناك شيء في عقل الإنسان ما لم يكن من قبل في حواسه، إذ أن العقل عبارة عن صفحة بيضاء ليس عليها أي انطباع أو أي شيء سابق على خبرة الحواس"[1].

وها هو الفخر الرازي يقول: " قد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥]، {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"[2].

وأختم بقول الإمام الشاطبي في هذا المقام، حيث قال: " إنّ الله جعل للعقول في إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان وما يكون وما لا يكون، إذ لو كان كيف كان يكون؟ فمعلومات الله لا تتناهى، ومعلومات العبد متناهية، والمتناهي لا يساوي ما لا يتناهى. وقد دخل في هذه الكلية ذوات الأشياء جملة وتفصيلاً، وصفاتها وأحوالها وأفعالها وأحكامها جملة وتفصيلاً، فالشيء الواحد من جملة الأشياء يعلمه الباري تعالى على التمام والكمال، بحيث لا يعزب عن علمه مثقال ذرة لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أحواله ولا في أحكامه، بخلاف العبد فإنّ علمه بذلك الشيء قاصر ناقص سواء كان في تعقل ذاته أو صفاته أو أحواله أو أحكامه، وهو في الإنسان أمر مشاهد محسوس لا يرتاب فيه عاقل تُخرّجه التجربة إذا اعتبرها الإنسان في نفسه"[3].

٢- إغفالهم قواعد المحدثين وعلومهم وتشكيكهم فيها:

يقول الجابري في معرض حديثه عن الحديث الصحيح أنَّ " كتب الحديث الصحيحة، كصحيحي البخاري ومسلم إنما هي صحيحة بالنسبة للشروط التي وضعها أصحابها لقبول الحديث، <u>الحديث الصحيح ليس صحيحاً في نفسه بالضرورة</u>!! وإنما هو صحيح بمعنى أنه يستوفي الشروط التي اشترطها جامع الحديث كالبخاري ومسلم"[4].

وعدّ محمَّد شحرور أنّ هذه المقولة من أكبر المغالطات، حيث قال: " يقولون: صحيح مسلم وصحيح البخاري!، ويقولون: إنهما أصح الكتب بعد كتاب الله!، ونقول نحن: هذه إحدى أكبر المغالطات التي ما زالت

---

[1]- طعيمة، صابر عبد الرحمن، العقل والإيمان في الإسلام، ص:٢٨.
[2]- الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، (٥٠١/٢١).
[3]- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام، (٣١٨/٢).
[4]- الجابري، محمد عابد، قضايا الدِّين والفكر، (ص:٨).

المؤسسات الدِّينيَّة تُكره الناس على التسليم بها تحت طائلة التكفير والنفي"[١].

ودعا حسن الترابي إلى ضرورة إعادة النظر في الضوابط التي وضعها البخاري، وأنه لا داعي لهذه الثقة والإعجاب المفرطين به، خاصة مع استحداث الوسائل التي يمكن الوثوق بها وما كان البخاري ولا غيره يعرفها[٢].

ولم يكن محمد أركون أحسن حالاً منهم إذ اعتبر أنّ السنة النبوية هي جزء من التراث الذي يجب أن يخضع للدراسة النقدية الصارمة لكل الوثائق والمواد الموروثة[٣].

وقد نادى هؤلاء بضرورة الإحتجاج بالقرآن وحده، في سلسلة هجماتهم الشرسة ضد السنة النبوية التي تشكل الحصن المنيع للدين الإسلامي والتطبيق العملي للأحكام الشرعية، وهؤلاء القرآنيون كما يطلقون على أنفسهم يريدون من خلال هذه الدعوة " اختراق هذا الجدار المنيع الذي يحمي أسس العقيدة أو الشريعة، ليتمكنوا من الزيادة في الدين أو النقص منه حسب ما يشاؤون"[٤].

يقول أحدهم: "إنَّ المشكلة تأتي مرة أخرى من زعم الفقهاء أنَّ حلال محمَّد حلالٌ إلى يوم القيامة، وحرام محمَّد حرام إلى يوم القيامة، وتأتي من اعتبارهم أنَّ القرارات النَّبويَّة التنظيمية لها قوة التنزيل الحكيم الشامل المطلق الباقي، ناسين أنَّ التحليل والتحريم محصور بالله وحده، وأنَّ التقييد الأبدي للحلال المطلق يدخل حتماً في باب تحريم الحلال، وهذه صلاحية لم يمنحها تعالى لأحد بما فيهم الرُّسُل"[٥].

أما محمد عمارة فيقول: " إذا وجدتُ حديثاً منسوباً إلى رواة عدول لا ألجم عقلي وأمنعه من النظر بحجة أنّ السند هو كل شيء، لأنه لا بدّ أن يكون لعقلي مجال في المتن، ولابدّ أن أحاكم هذا الذي هو ظني الثبوت إلى ما هو قطعي الثبوت وهو كتاب الله وحقائق العلم! "[٦].

- الرد العلمي على هذه الشبهات:

---

[١]- شحرور، محمد، نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، ص: ١٦٠.

[٢]- محاضرة بعنوان: قضايا أصولية فكرية، ألقاها بالديوم الشرقية، ينظر: محمد حامد الناصر، العصرانيّون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، ص:١٢٤.

[٣]- صالح، هاشم، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، (١٠٢/٢).

[٤]- محمد العبدة وطارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث، ص:٨٣.

[٥]- شحرور، محمد، نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص:١٥٣، يلاحظ سوء أدب هؤلاء في ذكرهم للنبي- صلى الله عليه وسلم- مجرداً عن الصلاة والسلام عليه.

[٦]- جريدة المسلمون، العدد ( ٢٧٦)، ( ص:١١).

إنّ قواعد المحدثين التي شهد لها حتى أعداء هذه الأمة وأشادوا بها وأقروا بأنها ممّا تميّز به المسلمون عن غيرهم، لم يحفل بها أصحاب هذا الفكر وتجاهلوها بالكلية فوقعوا في مزالق وأخطاء علمية فادحة، فاعتبروا أنّ السنة النبوية هي من قبيل التراث وليست وحياً، ثم شككوا في حجية أحاديث الصحيحين خاصة، وأطلقوا الدعاوي بمعارضة أحاديثهما للقرآن الكريم الذي هو– النتيجة- أولى بالإتباع وحده من دون السنة النبوية.

إنّ كل هذه الدعاوي منبثقة – من وجهة نظري- من نقطة مركزية واحدة وهي عدم فهم هؤلاء لقواعد المحدثين وتجاهلها عن قصد، وإلا فإنهم لو التزموا بالمنهج العلمي المنصف لحاكموا الأحاديث النبوية بناءً على تلك القواعد، وليس على عقولهم وأفهامهم غير المنضبطة، خاصة أنّ أسيادهم من الغرب اعترفوا بدقة هذه القواعد وروعتها، ولكنّ الغريب هنا أنهم لم يقلدوهم كعادتهم في هذا المجال بالذات لغاية في أنفسهم.

- إنّ القضية في كل هذه الشبهات والمزاعم والدعوات العريضة كما أسلفت الذكر تأتي من قلة باع هؤلاء في علوم المحدثين وجهلهم التام بها، فهم في تشكيكهم بأحاديث الصحيحين ومكانتهما، إنما ينازعون الأمة التي أجمعت على تلقي الصحيحين بالقبول، وأنهما أصح كتابين بعد كتاب الله عز وجل.
- ثمّ إنّ زعمهم بأنّ السنة النبوية تراث، يخالف المنقول من النصوص التي توضح مكانة السنة النبوية، وحجيتها جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم وأنها وحي غير متلو[1].
- روى ابن ماجه بسنده إلى المقدام بن معد يكرب الكندي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ "[2]. وهذا ردٌ وزجر لكلام شحرور آنف الذكر.
- وقد قال علي بن أبي طالب لعبد الله بن عباس حين بعثه إلى الخوارج: " ولا تخاصموهم بالقرآن، فإنّه حمّال ذو وجوه، ولكن حاججهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً"[3].

---

[1]- ينظر: الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: حجية السنة النبوية، ص: ٣٢-٥٢.

[2]- أخرجه ابن ماجه في السنن، باب: تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج:١، ص:٦، حديث رقم:١٢، صحيح.

[3]- كمال، يوسف، العصريون معتزلة اليوم، ص: ٧٩.

- **إنّ إبطال الأحاديث النبوية ونقدها بدعوى معارضتها للقرآن الكريم أمرٌ غير مستقيم علمياً، ولا يمكن بحال قياسه على استعمال الصحابة، لأنّ قضية ثبوت النص عند الصحابة هي القضية المركزية التي يحومون حولها، فلا مجال لمخالفته أو طرحه أو تأويله، وإنما هو التسليم والإنقياد. أما أصحاب هذا الفكر الدخيل فلا تشكل هذه المسالة أي اهتمام لديهم، وإنما الأصل الذي ينطلقون منه هو النظر العقلي المجرد، وهذا منهج لا يحمل في داخله أية قيمة علمية ، وإنما يجعل النصوص المقدسة تحت مقصلة العقول المتباينة، والمعايير الشخصية، وهذا عبثٌ لا ينتهي[1].**
- **إنّ عملية النقد عند المحدثين تكاملية، بمعنى أنّهم اعتنوا بنقد السند والمتن معاً، لا كما يزعم هؤلاء بأنّ المحدثين أغفلوا نقد المتن أو ما أطلقوا عليه: ( النقد الداخلي)، كما يقول محمد رشيد رضا: «وقد تعرض كثير من أئمة الحديث النقد من جهة المتن إلا أن ذلك قليل جداً بالنسبة لما تعرضوا له من النقد من جهة الإسناد»، وردّ عليه المعلمي اليماني بقوله: " من تتبع كتب تواريخ رجال الحديث وتراجمهم وكتب العلل وجد كثيراً من الأحاديث يطلق الأئمة عليها « حديث منكر، باطل، شبه الموضوع، موضوع»، وكثيراً ما يقولون في الراوي « يحدث بالمناكير، صاحب مناكير، عنده مناكير منكر الحديث»، ومن أنعم النظر في أحاديثهم والطعن فيمن جاء بمنكر صار الغالب أن لا يوجد حديث منكر إلا وفي سنده مجروح، أو خلل، فلذلك صاروا إذا استنكروا الحديث نظروا في سنده فوجدوا منا بينه وهنه فيذكرونه، وكثيراً ما يستغنون بذلك عن التصريح بحال المتن، انظر موضوعات ابن الحوزي وتدبر تجده إنما يعمد إلى المتون التي يرى فيها ما ينكره ولكنه قلما يصرح بذلك بل يكتفي غالباً بالطعن في السند، وكذلك كتب العلل وما يعل من الأحاديث في التراجم تجد غالب ذلك ما ينكره متنه، ولكن الأئمة يستغنون عن بيان ذلك بقولهم «منكر»، أو نحوه، أو الكلام في الراوي، أو التنبيه على خلل من السند كقولهم: فلان لم يلق فلاناً، لم يسمع منه، لم يذكر سماعاً، اضطرب فيه، لم يتابع عليه، خالفه غيره، يروي هذا موقوفاً وهو أصح، ونحو ذلك"[2].**

---

[1]- أبا الخيل، خالد، مسالك الفكر العقلي المعاصر للطعن في الصحيحين، بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين المنعقد في الفترة من ١٤ –١٥/٧/٢٠١٠م بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، (ص: ٢٠).

[2]- الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة (ص:٢٦٣- ٢٦٤).

- **وأختم بكلام دقيق للدكتور السباعي يصف فيه جهود العلماء على مر التاريخ في إرساء قواعد هذا العلم، فيقول: " لا يستطيع من يدرس موقف العلماء - منذ عصر الصحابة إلى أن تم تدوين السُنَّةِ - من الوضع وَالوَضَّاعِينَ وجهودهم في سبيل السُنّةِ وتمييز صحيحها من فاسدها، إلا أن يحكم بأنّ الجهد الذي بذلوه في ذلك لا مزيد عليه، وأن الطرق التي سلكوها هي أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص، حتى لنستطيع أن نجزم بأن علماءنا - رَحِمَهُمْ اللهُ -، هم أول من وضعوا قواعد النقد العلمي الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها، وأن جهدهم في ذلك جهد تفاخر به الأجيال وتتيه به على الأمم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم"[1].**

**٣- تتبع الآراء الشاذة والأقوال الضعيفة واتخاذها أصولاً كلية:**

**وهذا المنهج ملاحظ بكثرة عند جميع العصرانيّين، الذين استندوا في ردهم للأحاديث النبوية على ترديد أقوال سابقيهم من أصحاب هذا المنهج، فنراهم يتمسكون بهذه الأقوال والآراء الضعيفة والشاذة ويعضون عليها بالنواجذ، ويعتبرونها الأصل الذي يرتكزن عليه وينطلقون منه، متجاهلين ما يقابل هذه الآراء من أقوال صحيحة تعتبر العمدة في الموضوع والأصل الصحيح.**

**و" الواقع أن كل ما يقوله الحداثيون هنا، ليس إلا اجتراراً لما قاله حداثيو أوروبا وأمريكا، ورغم صياحهم ومناداتهم بالإبداع والتجاوز للسائد والنمطي -كما يسمونه عندهم- إلا أنّه لا يطبق إلا على الإسلام وتراثه، أمّا وثنية اليونان وأساطير الرومان وأفكار ملاحدة الغرب، حتى قبل مئات السنين، فهي قمة الحداثة، وبذلك فهُم ليسوا إلا مجرد نقلة لفكر أعمدة الحداثة في الغرب مثل: إليوت، وباوند، وريلكة ولوركا، ونيرودا، وبارت، وماركيز"[2].**

**من ذلك احتجاج زكريا أوزون بقول عثمان بن عفان- رضي الله عنه-: " لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا من عن آخرهم"[3].**

**قال العقيلي عن هذا الأثر: " ليس له أصل ولا يُعرف إلا بعبد الله بن عبد القدوس الرافضي ومن هو في مثل حاله ومذهبه؟"[4].**

---

[1]- السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، (١/ ٩٠).

[2]- برادة، محمد، اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، ص:١١.

[3]- أوزون، زكريا، جناية البخاري وإنقاذ الدين من إمام المحدثين، ص: ٧٨.

[4]- ينظر: العقيلي، محمد بن عمرو، الضعفاء الكبير،(٢/٢٨٠). وابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، (١/٢٩٥).

وقال الهيثمي: " منقطع لأنه من رواية سالم بن أبي الجعد، وهو كثير الإرسال ولم يسنده عن ثقة[1]".

٤- اتباع أسلوب الغموض والتمويه والتلبيس:

يشتكي كثيرٌ من الباحثين الذين قاموا بدراسة هذه المدرسة ومناهجها للرد عليهم، من عدم وضوح انتقاداتهم في الكثير الغالب، فهم لا يقدمون أدلة علمية يمكن مناقشتها والرد عليها رداً علمياً، وما ذلك إلا لعدم وجود منهج علمي متبع عندهم، ولسوء دخيلتهم وطويتهم يلجأون إلى هذه الأساليب التي تكشف خوفهم من المواجهة لضعف حجتهم.

فإنّ " من أكبر ما يمتازُ به فكر وكتابات وأحاديث العصرانيّين العمومات، والغموض، والتمويه المتعمد، والتلبيس، ولابد لدعاة التجديد العصرانيّين، من وضع النقاط على الحروف، ولابدَّ أن تكون لديهم الشجاعة الكافية، في إبداء ما يريدون تجديده وتفنيده من أمر الدين، بدلاً من المراوغة، والتلاعب بالألفاظ"[2]. والقارئ لكتب هؤلاء يلحظ هذا الأسلوب بوضوح، فيجد هذا المعاصر لا يصرح بالفكرة أحياناً وإنما يدور حولها، وقد يقع في التناقض في أكثر من موقع، فتارةً تجده يوقر التراث ويدللُّ على أهميته، ثم تراه ينسب تخلف الأمة إليه، ويدعو إلى نبذه بالكلية.

محمد أركون مثلاً يؤكد في موضع من كتابه: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، على أنّ السنة تراث، وقد دخلها الوضع والكذب بحيث لا يمكن تمييزه فيقول في الأوضاع والحالات المستحدثة: " فإنه لزم على المعنيين بالأمر أن يصدقوا عليها ويقدسوها إما بواسطة حديث للنبي، وإما بواسطة تقنيات المحاجة والقياس"[3].

ولكنه يتناقض مع نفسه في موضع سابق ويعترف بأن السنة لقيت من الرعاية والتثبت ما لم يلقاه أي خطاب أو نص تاريخي وباعتراف الغرب أنفسهم[4].

٥- تحوير النصوص وتجزئتها عن الفكرة والسياق.

إنّ الأمانة العلمية من مقتضيات البحث العلمي الجاد، وهي تعني: " التزام نقل النصوص كما هي من مصادرها بدون زيادة، أو نقصان، أو تحريف، أو تبديل في نصوصها، أو معانيها، والتجرُّد في فهمها وتوثيقها بنسبتها إلى أصحابها"[5].

---

[1]- الهيثمي، أبو الحسن، مجمع الزوائد، (٢/٧).

[2]- الأمين الحاج محمد، مناقشة هادئة لأفكار الترابي، ص: ١٥.

[3]- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، مرجع سابق، ص: ١٠٤.

[4]- المرجع السابق، ص:١٠٢.

[5]- يوسف المرعشلي، أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، بيروت، دارالمعرفة، ط١، (ص:٧٧).

إلّا أنّ العصرانيين قد ارتكبوا العديد من الخيانات العلمية عندما يقومون ببتر النصوص واقتطاع الجزء الذي يتناسب مع شبهاتهم وطعونهم، وهذا لا يمت للأمانة العلمية بأية صلة. فنجدهم يتكئون على بعض مقالات للعلماء والأئمة محاولين توظيفها لأجل نقض السنة النبوية والطعن فيهما، وهذه محاولات غير نزيهة وتفتقر للحد الأدنى من الموضوعية والعلمية.

ومن ذلك قول أوزون في أبي هريرة رضي الله عنه: (وهكذا فقد كان أبو هريرة أول راوية اتُّهم في الإسلام)[1]، وعزا هذه العبارة إلى كتاب تاريخ آداب العرب، للرافعي، ولم يذكر رقم الصفحة، أو الجزء، وهو من ثلاث مجلدات.

فالرافعي وهو يتحدث عن الرواية وتاريخها، يذكرُ كثرة رواية أبي هريرة- رضي الله عنه- وإنكارَ بعض الصحابة عليه ثم يدافع عن أبي هريرة بقوله: "غير أنه كان رجلاً فقيراً ومعدماً، فكان يلزمُ رسول الله- صلى الله عليه- لخدمته وشبع بطنه، لا يشغله عنه الصفق في الأسواق، والتصرف في التجارات، ولا لزوم الضياع، كغيره من الصحابة، فلهذا حفظ ما لم يحفظوا، وأتيَ عنه من الرواية ما لم يأت عن غيره منهم"[2]. فالأمانة العلمية تقتضي أن يذكر كلام الرافعي كاملاً، أو ينبه على تعليقه، لا أن يعزوها للرافعي، ثم لا يذكر الجزء والصفحة، إمعاناً في التضليل كما فعل إمامه أبو رية حين نسب هذا القول للإمام ابن قتيبه[3].

ومن ذلك ذكر جمال البنا للنفي فقط وبتره للاستثناء في قوله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا } [الجن: ٢٦، ٢٧]، لإنكار معرفة الرسل والأنبياء بالغيب مطلقاً، وعلى تكذيب كل الأحاديث النبوية عن الغيب كتب السنة النبوية[4].

٦- الاعتماد على مراجع ضعيفة وإهمال المراجع والمصادر الأصلية:

إنّ من المفارقات العجيبة لدى أصحاب هذا الفكر أنهم يقومون برد أحاديث أصح كتابين بعد كتاب الله عز وجل معتمدين على مصادر ضعيفة غير متخصصة في الموضوع، وما هذا إلا لتناقضهم الواضح.

فنجدهم يعتمدون في بناء أفكارهم، أو تأييدها لنقض الصحيحين وغيرهما من كتب السنة، يعتمدون على كتب اشتملت الصحيح والضغيف

---

[1]- جناية البخاري، مرجع سابق، ص٢٠.

[2]- الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، (٢١٦/١).

[3]- كشف الدكتور مصطفى السباعي هذه الخيانة العلمية في النقل في كتابه: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص: ٣٤٥، وكذلك المعلمي اليماني في الأنوار الكاشفة لما في كتاب " أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة ص: ١٦٦.

[4]- جمال البنا، تجريد البخاري ومسلم، (ص:٨٥)، والسنة ودورها في الفقه الجديد، (ص:٥٢٤).

والموضوع كمروج الذهب، والأغاني، والبداية والنهاية، والإمامة السياسية، وشرح النهج، فضلاً على أنها ليست من كتب التخصص في الحديث وعلومه، حتى يصح أن يُحاكم أصح الكتب عليها.

وهذا إن دلَّ على شيء فلا يدلُّ إلا على غياب المرجعية العلمية لدى هؤلاء، وهناك مصادر حديثية يمكن أن يعتمدوها كالباعث الحثيث، والكامل لابن الأثير، وطبقات ابن سعد، وسير أعلام النبلاء، موظفين نصوصها بما يخدم أفكارهم بل إنهم لا يلتزمون الأمانة العلمية في نقلهم من هذه الكتب، فقد ينقلون منها نصوصاً مجتزئة عن فقرتها، بحيث يوهمون للقارئ أن هذا ما صرح به صاحب الكتاب الذي ينقلون منه، وهو بريءٌ منه براءة الذئب من دم يوسف، كما سبق في المرتكز الخامس.

ومن أمثلة ذلك: طعن جمال البنا في حديث البخاري: «لاَ يَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الذُّلَّ»[1]، معتمداً على حديث: أنّ الرسول الله- صلى الله عليه وسلم- قبّل اليد الذي مجلتها المسحاة[2]، وهو حديث باطل موضوع، كما قال الخطيب البغدادي وابن الجوزي[3].

وهذه ثلمة كبيرة في جدار الحداثيين الفكري، فإنّ الباحث المتجرد إذا أراد أن يتعرف على فكر ما فإنّ عليه الرجوع إلى مصادر هذا الفكر، لا أن يأخذه من مصادر غير متخصصة، أو كتب فيها الصحيح والضعيف والموضوع، أو منافسة وقد تكون معادية كمصادر الباحثين الغربيين التي اتخذها هؤلاء كمسلمات فكرية غير قابلة للنقض.

## المطلب الثالث

## بعض من ملامح العصرانيين وخصائصهم المستقاة من تلك المناهج

بعد هذا العرض الموجز لهذه المرتكزات يمكن أن نستخلص أبرز ملامح وخصائص العصرانيّين التي يتميزون بها، أذكر منها:

١- احتكامهم إلى العقل لكنه ليس العقل المجرد السليم الذي يبحث عن الحق بل التابع للهوى، فيصدق عليهم قول القائل: ( أغبى الناس في العقليات، وأكذبهم في النقليات).

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب: المزارعة، باب: ما يحذر من عواقب الاشتغال، حديث رقم:(٢٣٢١)، (١٠٣/٣).

[2]- جمال البنا، تجريد البخاري ومسلم، (ص: ٣١٥).

[3]- ولفظ الحديث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ " أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَاسْتَقْبلهُ سعد ابْن مُعَاذٍ الأَنْصَارِيُّ، فَصَافَحَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا هَذَا الذى اكتبت يَدَاكَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبُ بِالْمَرْوِ الْمِسْحَاةَ فَأَنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِي، قَالَ: فَقَبَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ وَقَالَ: هَذِهِ يَدٌ لَا تَمَسُّهَا النَّارُ أَبَدًا "، رواه الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، (٣١٨/٨)، وعبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الموضوعات، (٢٥١/٢).

**٢- ليس لدى هؤلاء العصرانيّين حجج مقنعة قابلة للنقاش العلمي، وإنما هي مقالات وكتب أشبه ما يكون بالموضوعات الإنشائية التي يعرض كاتبها قدرته البلاغية، ومعرفته الإنشائية.**
**٣- عدم اعتمادهم على قواعد ثابتة عندهم جميعاً يصدرون عنها، وعدم الإعتماد على قواعد قاطعة في الاحتجاج وإنما هو الظن وإنّ الظن لا يغني عن الحق شيئاً.**
**٤- التناقض والتسرع في إطلاق الأحكام دون رويّة أو إطلاع ويحكمون على النصوص بالأحكام الاستباقية المرسلة، فمشكلتهم مع النص تكمن بالدرجة الأولى في أفهامهم السقيمة وتحليلاتهم العقيمة.**
**٥- الانبهار بالحضارة الغربية وما أنتجته من أفكار ومناهج وأساليب، حتى إنّ أحدهم يشبه نفسه أمام نظيره من الغرب: " كالفلاح الفقير الذي يقفُ خجلاً بنفسه أمام الغني الموقر، يقفُ مثقفنا العربي أمام نظيره الغربي وهو يكاد يتهم نفسه ويعتذر عن شكله غير اللائق، ولغته غير الحضارية! ودينه المتخلف! ويستحسن المثقف الغربي منه هذا الموقف فيساعده على الغوص فيه أكثر حتى ليكاد يلعن نفسه ويخرج من جلده لكي يصبح حضارياً أو حداثياً مقبولاً!"[١].**
**٦- الاجترار لأفكار وشبهات سلفهم من العصرانيّين، والتبعية العمياء لمقولاتهم، وبهذا يناقضون أنفسهم عندما اتهموا المسلمين بالانغلاق والقياس والآبائية، ودعوا إلى التحرر، والاحتكام للعقل، ثم نجدهم في ثنايا كتاباتهم متبعين، مقلدين، مجترين لأفكار وطعون وشبهات من سبقهم.**

---

**[١]- أركون، محمد، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، (ص: ٢٤).**

## لخاتمة

**وفي ختام هذا البحث الموجز أخلص بمجموعة نتائج، أذكر منها:**

**١- إنّ من أفضل الوسائل في الكشف عن مناهج خصوم أهل السنة النبوية؛ إبراز منهج المحدثين العلمي، والقواعد العلمية التي يستعملونها في تعاملهم مع الأحاديث النبوية.**

**٢- إنّ العصرانيّين ليسوا مدرسة حادثة، بل هي امتداد لأفكار سابقيهم من العقلانيين القدماء، وما طعنوا فيه منبعه أفكارهم وأخص منهم المعتزلة، والشيعة، وبعض طوائف الصوفية.**

**٣- لا يعرف أكثر هؤلاء بالتخصص في نقد الحديث وبضاعتهم فيه مزجاة وتكاد أن تكون معدومة.**

**٤- من أهم مصادر هؤلاء في رد الأحاديث النبوية هو ما نقله سابقيهم في كتبهم وليس لهم سوى النقل بلا عزو، وهذا لافتقارهم للموضوعية والمنهجية السليمة.**

**٥- إنّ هذه الإنتقادات والشبهات المثارة ضد السنة النبوية، وخصوصاً أحاديث الصحيحين لا تزيد المسلم الواثق والمعتز بدينه، والمتمسك بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم إلا يقيناً بهذا الدين، وإجلالاً لقواعد المحدثين، على نقيض أفكارهم الهشة والسطحية.**

**٦- هناك مسؤولية مضاعفة على العلماء والمؤسسات التعليمية لتوعية الشباب المسلم حول خطورة هؤلاء والأفكار التي يحملونها، ولا بدّ من التصدي لحملات التشويه المستمرة منهم بإقامة اللقاءات والمؤتمرات العلمية، وعمل صفحات توعوية على مواقع التواصل الاجتماعي، وإنشاء المراكز العلمية المتخصصة في كشف زيف هؤلاء ومتابعة كل شبهاتهم بالرد العلمي، وغيرها من الأنشطة والفعاليات، فترك الساحة لأمثال هؤلاء يثير الفتن والقلاقل.**

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

## قائمة لمصا لم جع


- أركون، محمد، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، بيروت، دار الساقي للنشر، (١٩٩٥م).
- أمين أحمد، قصة الفلسفة الحديثة، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٥.
- الأمين، الحاج محمد، مناقشة هادئة لأفكار الترابي، مركز الحق الإلكتروني، ١٩٩٥م.
- الأمين، الصادق الأمين ، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية.
- أوزون، زكريا، جناية البخاري وإنقاذ الدين من إمام المحدثين ، الريس للكتب والنشر، الرياض، ٢٠٠٤م.
- برادة، محمد، اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، القاهرة، مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد الثالث، ١٩٨٤م.
- بسطامي، محمد سعيد مفهوم تجديد الدين، دار الدعوة، الكويت، ١٤٠٥هـ.
- البيهقي، أحمد بن الحسين، مناقب الشافعي، تحقيق: أحمد صقر، القاهرة، مكتبة دار التراث، ١٩٧١م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤١١هـ.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، باكستان، ١٩٨١م.
- جيب، الإتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة هاشم الحسيني، بيروت، دار مكتبة الحياة، ٢٠١٤م.
- حنفي، حسن، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، بيروت، دار التنوير.
- الذهبي، محمد بن أحمد ، سير أعلام النبلاء، القاهرة، دار الحديث.
- الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، ١٩٩٧م.
- الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩.
- الرازي، أبو عبد الله محمد ،مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيرت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ.
- الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، بيروت، دار الوراق، ٢٠٠٣م.

- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد، السعودية، دار ابن عفان، ١٩٩٢م.
ـ، الموافقات في أصول الأحكام، تحقيق: مشهور بن حسن، دار ابن عفان، ١٩٩٧م.
- شحرور، محمد، نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، دار الساقي، ٢٠١٥م.
- صالح، هاشم، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، بيروت، دار الساقي، ١٩٩٢م.
- صليبيا، جميل، المعجم الفلسفي، بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ١٩٩٤م.
- طعيمة، صابر عبد الرحمن، العقل والإيمان في الإسلام، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٩م.
- عثمان، محمد فتحي، التُّراث والتجديد، من العقيدة إلى الثورة، طبعة القاهرة، ١٩٨٠م.
ـ، الفكر الإسلامي والتطور، القاهرة، دار القلم.
- العقيلي، محمد بن عمرو، الضعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي أمين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ.
- عمارة، محمد، تيارات الفكر الإسلامي، القاهرة، دار الهلال، ١٩٨٢م.
- ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، بيروت، دار الكتاب العربي.
- كمال، يوسف، العصريون معتزلة اليوم، دار الوفاء، مصر، ١٩٩٨م.
- الناصر، محمد حامد، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، الرياض، مكتبة الكوثر، ٢٠٠١م.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء الكتب العربية.
- محمد العبدة وطارق عبد الحليم، المعتزلة بين القديم والحديث، الرياض، مكتبة الكوثر، ١٩٨٧م.
- أبو منصور، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.
- ابن منظور، محمد بن منظور، ، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.
- المعلمي اليماني، الأنوار الكاشفة لما في كتاب " أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة، بيروت، عالم الكتب.
- الهيثمي، أبو الحسن، مجمع الزوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٩٩٤م.

قائمة البحوث والمجلات العلمية:

- أسبوع الفقه الإسلامي الثالث، مجلة البحوث الإسلامية، القاهرة ٦-١٣ مايو ١٩٦٧ م.

- الجابري، محمد عابد ، قضايا الدِّين والفكر، مجلة فكر ونقد، المغرب، السنة الأولى، العدد ٩، مايو ١٩٩٨م.
- أبا الخيل، خالد، مسالك الفكر العقلي المعاصر للطعن في الصحيحين، بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين المنعقد في الفترة من ١٤ – ٢٠١٠/٧/١٥م بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية.
- الشهري، محمد ظافر، العقلانيون المعاصرون وأحاديث الصحيحين، بحث مقدم لمؤتمر الإنتصار للصحيحين المنعقد في الفترة من ١٤ – ٢٠١٠/٧/١٥م بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية.
- هويدي فهمي، وثنيون هم عبدة النصوص ، مجلة العربي - عدد ٢٣٥ يونيو ١٩٧٨م.
-Stephen ١٩٩٢; C: The Hidden Agenda of Modernity, University of Chicago.